

المرأة والمساواة

ما نراه من تصرفات غير سوّية تجاه المرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، ناتجة من تعاملات سيئة من قبل أبناء المجتمع لا تمت للإسلام بصلة، حيث يدّعي البعض أن الشريعة الإسلامية تضع المرأة في مرتبة أدنى من مرتبة الرجل وتضطهدها، وغيرها الكثير من الشبهات التي تثار هنا وهناك.

لعل أكثر موضوع يثار في هذا الشأن مسألة عدم التساوي بين المرأة والرجل في الميراث، وأهلية الشهادة أمام القضاء، وحق الزوج حلّ رابطة الزوجية بإرادته المنفردة، وقوامة الرجل على المرأة.

والواقع أن نقطة البدء التي يجب أن نسلّم بها، أنه ليس هناك ما يحول دون أن يكون للمساواة بين المرأة والرجل في الإسلام مفهوم متميِّز مغاير لمفهومها في الأنظمة الوضعية، حيث كَرّمت الشريعة الإسلامية المرأة وأجلّت من قدرها، فوضع المرأة قبل الإسلام وصل إلى حالة كراهية ميلادها، وذلك ظاهر من قوله سبحانه وتعالى « وَإِذَا بَشِيرًا أَحَدُهُمْ بِمَا لَأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ » ولم يكن حق المرأة في الإرث معيّنًا ثابتًا، ولا حقها في الكسب والتصرف بما تملك مقررا، حتى جاء الإسلام فأقر لها حقوقها وأعلى من قدرها.

وهنا يمكن التأكيد على ملاحظتين، الأولى: إذا كان الإسلام لا يساوي في الميراث بين الذكر والأنثى من الأبناء -حسب ما يطرحه البعض- فذلك مردّه إلى النظام الإسلامي في مجموعته، الذي لا يكلف المرأة -وإن كانت ميسورة- بالإنفاق على نفسها، بل جعل ذلك على الرجل نظير القوامة عليها، ففي الإسلام أسباب لعدم التسوية بينهما في الميراث، حيث إن هناك تسوية في ميراث الأب والأم من الأبناء، يقول سبحانه وتعالى « وَاللَّيْثُ وَالْيَتِيمَ وَالَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَرْصَالَهُمْ وَالْمَسْكِينُ وَالْمَسْكِينُ وَالْمَسْكِينُ وَالْمَسْكِينُ وَالْمَسْكِينُ » ويقول عز وجل « وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ »

ثانياً: إذا كان الرجل قواما على المرأة، فإن الفهم الصحيح لهذا القوامة هو أنها مقصورة على شؤون الأحوال الشخصية، أما في غيرها فقد جعل الإسلام المرأة مع الرجل على قدم المساواة في الحقوق والواجبات المعنوية والمالية، إلا في أشياء قليلة يقتضيها الفرق الواضح بين طبيعة المرأة وطبيعة

فالمراة أمام التكليف الشرعية والواجبات الدينية شقيقة الرجل، تصلي وتصوم وتركبي وتحج، وتبيع وتشتري، وتخرج للحروب والدفاع عن الوطن، وتعمل في أي عمل تشاء، من زراعة وصناعة وتعليم أو أية وظيفة أخرى، يقول الباري عز وجل «أَنْزَيْ لَآ أُضَيِّعُ عَمَلَكُمْ سَائِلِينَ» ما نراه في العهد الحالي لدولتنا فتح المجال للمراة بأن تمارس كل حقوقها، مع التأكيد على الالتزام بالمعايير الإسلامية، التي من خلالها حصلت على المكانة المرموقة في إعطائها دورا ومشاركتها في كل الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ تسندت أدوارا قيادية متميزة في الدولة، ولم تتخل عن هويتها الإسلامية.